تسويق الإنتاج الفلاحي كخيار إستراتيجي لمواجهة التمدين

ـ دراسة حالة إقليم برشيدـ

Marketing agricultural production as a strategic option to confront urbanization a case study of Berrechid region

بشرى حساني

الكلية متعددة التخصصات خريبكة، bouchra4b@gmail.com

تاريخ الاستلام: 20 /2020/08 تاريخ القبول: 22 /2020/08 تاريخ النشر: 03 /2020/09

ملخص:

ساهم انتشار التمدين بإقليم برشيد ومارافقه من اكتساح كبير للمنشآت السكنية وتطور لأنشطة الصناعية والخدماتية في تآكل سريع للأراضي الفلاحية، غير أن تقلص ابعاد المجال الفلاحي لا تشكل سوى مظهر خارجي لمفعول التأثير الحضري، إذ تعرف الرساتيق الزراعية تحولات باطنية تتمثل في التغير التدريجي لاستعمالات الأراضي الفلاحية، وفي جنوح الفلاحين نحو تنويع الإنتاج الفلاحي والاتجاه نحو الزراعات التسويقية لتبلية حاجيات السوق الحضرية والذي يعد شكلا من أشكال التأقلم والصمود في وجه التمدين.

وفي هذا الإطار نسعى من خلال هذه المقالة واعتمادا على نتائج الاستطلاع الميداني الوقوف على أشكال تأقلم وتكيف الفلاحين مع التمدين.

كلمات مفتاحية: تسويق،الزراعات التسويقية،التأثير الحضري،الإنتاج الفلاحي،التكيف.

تصنيف JEL: M31، Q13.

Abstract:

The expansion of urbanization in the province of Berrechid by the large number of residential installations and the evolution of industrial activities and services have contributed to the rapid degradation of agricultural land, but the decrease in the size of agricultural land is only " an apparent manifestation of the impact of urban influences, because farms are undergoing profound changes and the new orientation of farmers towards a total diversification of their agricultural production based on the commercialization of the production to meet the needs of the urban market, it is a form of adaptation and resilience to urbanization.

In this context, we seek through this article and on the basis of the results of the field survey, to identify the forms of adaptation of farmers to urbanization.

Keywords: Marketing; market agriculture; urban influences; agricultural production; adaptation.

Jel Classification Codes: M31 ،Q13.

المؤلف المرسل: بشرى حساني، الإيميل: bouchra4b@gmail.com

مقدمة:

لعب الموقع الجغرافي لإقليم برشيد القريب من العاصمة الاقتصادية، ووسائل المواصلات والنقل دورا هاما وقويا في مضاعفة وتعزيز فرصة اندماجها في منظومة المجالات المحيطة بالمدينة الكبرى. مما جعل الفلاحة تتحول وتتكيف مع حاجيات المدينة التي تمارس ضغوطا قوية تؤثر في السوق العقارية، وكذا في الإستراتيجيات الفلاحية التي ترتكز على عقلانية واضحة تجمع بين الهدف التأميني للمعيشة العائلية (حبوب، علف الماشية) وبين الهدف التسويقي (خضر، بقليات). حيث أصبحنا نلاحظ أن نسبة التخصص في المنتوجات ذات المردودية المرتفعة عرفت نقلة نوعية، لتميزها بالقدرة التنافسية، مقارنة بالمنتوجات الفلاحية الأخرى، بسبب انخفاض تكاليف النقل. أما بخصوص التسويق، فقد أصبح الإنتاج يوجه صوب الأسواق المفتوحة (البيع المباشر بالمدينة)، في حين أن المستغلين بدؤوا يتطلعون للرفع من مداخيلهم، اعتمادا على طبيعة المنتوجات (المعروفة بحساسيتها وطراوتها)، وعلى نظم إنتاج ذات تكاليف منخفضة (زراعة مكثفة، بقليات، بيع مباشر).كما أن المستغلين وصلوا إلى مستوى استطاعوا معه التكيف مع حاجات السوق، من خلال معرفة متطلبات الزبون.

للوقوف على هذا الموضوع ارتأينا دراسة إقليم برشيد الذي يشهد تحولات اقتصادية ومجالية سريعة ومركبة، ينتمي المجال من الناحية الطبيعية إلى الميسطا الأطلنتية وإداريا لجهة الدار البيضاء سطات(خريطة رقم1) ،تقدر مساحته الصالحة للزراعة بنحو 203000 هكتار، أي ما يعادل 3% من المساحة الوطنية الصالحة للزراعة، تشتهر المنطقة بأهمية إنتاجها الفلاحي للحبوب و القطاني،غير أن الاستغلال الزراعي بها شهد تطورا مهما، إذ اضحى يعتمد بشكل كبير على وسائل عصرية وحديثة كالسقي بالتنقيط واستعمال البيوت البلاستيكية والمكننة. حيث عرف المجال تجربة نموذجية لسقي 700هكتار(المديرية الإقليمية للفلاحة 2011).

خريطة 1: توطين إقليم برشيد ضمن جهة الدار البيضاء – سطات

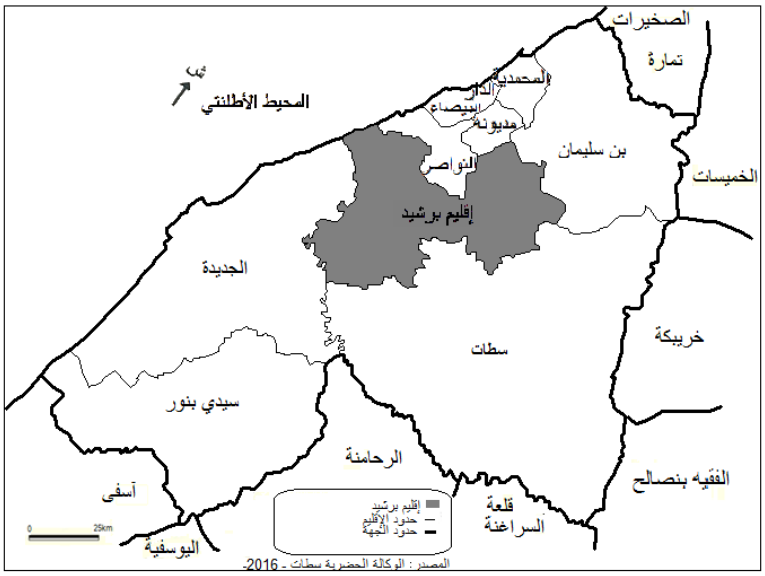

المفاهيم الإجرائية

ترتكز هاته المقالة على المفاهيم التالية: التكثيف،التكيف، التمدين

ـ التكثيف **intensification**: تدل كلمة التكثيف على نشاط أو عمل ينتج عنه رفع كثافة ظاهرة معينة أو التكثير في حجم و كمية شيء في إطار انتاج معين مع تدبير مختلف عوامل الانتاج بهدف الرفع من الإنتاج والمردودية. فقد اهتمت معظم الدراسات الاقتصادية و الزراعية بموضوع التكثيف وركزت أغلبها على المجال الفلاحي،إذ يرى بروكفليد أن التكثيف الفلاحي يرتبط بثلاثة عناصر الأولى تتمثل في التطور التقني و الثاني في زيادة تردد العمل و الثالث في زيادة الرأسمال الشيء الذي ينعكس على الموارد الطبيعية، إذ توجد علاقة بين التكثيف الفلاحي و الضغط السكاني إذ يمثل هذا الأخير محركا للانتقال من الأنظمة الزراعية التقليدية إلى الأنظمة الزراعية الكثيفة. (بنسالم الرويجل2012، ص 132).

عموما يرتكز مفهوم التكثيف على تصورات عدة سواء بالمجالات البعلية أو تلك المؤطرة من طرف الدولة، إذ ارتكز مفهوم التكثيف بالمحالات البعلية على أنه محصلة لتكييف النظام الرعي ـ زراعي مع البيئة الطبيعية نتيجة إتباع استراتيجيات وظيفية و اجتماعية و تقنية، و يترتب عن مسلسل التفاعل العمودي و الأفقي في العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية أشكال عدة من التكثيف(التكثيف المتوافق، والتكثيف الانتقالي،والتكثيف الأمثل)(محمد الأسعد،2012،ص 49) ، أما مفهوم التكثيف بقطاعات الري المؤطرة من طرف الدولة فارتكز على العلاقة بين الري و تحول الأنظمة الرعي . زراعية التي أصبحت تعتمد على التسويق (تربية البقر المهجن، زراعة الشمندر السكري، القطن...) (محمدمدينة،2007،43)

ـ التكيف **adaptation**: أداة معرفية أساسية لتحديد التفاعلات الموجودة بين الإنسان والبيئة(محمد الأسعد،2012،ص40) بالأنظمة الريفية وخاصة منها الأنظمة الرعي ـ زراعية، التي لا تعد نظاما للإنتاج يجمع بين الزراعة و تربية الماشية فحسب، ولكنها نظام ثقافي تخوض بواسطته الجماعات البشرية معركة حقيقية لضمان إعادة إنتاجها بإتباع استراتجيات متنوعة

(تقنية، سلوكية،اجتماعية..) كحل لبقاء،وهكذا فمفهوم التكيف يعد الركيزة الأساسية لمعرفة واقع الأنظمة الرعي ـ زراعية و الاستراتجيات المتبعة من طرف الفلاح لتدبير المخاطر...، كما أنها تتأثر بعوامل أخرى كتزايد الحاجيات المادية للفلاح علاوة على تدخل الدولة و العلاقات الريفيةـ الحضرية.(محمد مدينة2007،ص42).

- التمدين **(urbanisation)**: تعددت الاصطلاحات التي تعبر عن التمدين، لكن لا يزال الكثير منها يكتنفه بعض الغموض، فلا توجد تعريفات محددة تضبطها ومؤشرات دقيقة تقيسها.

فالتمدين يطلق على تلك العملية من النمو الحضري السريع، التي يمكن مشاهدتها من خلال انتشار المباني والمنشآت العمرانية والصناعية، بغض النظر عما إذا كانت هذه العملية تنبثق من عناصر النمو السكاني أو الهجرة.

ويعد التمدين بصفة عامة شرطا أساسيا في عملية التحديث، ويرتبط بالتحول من النظم الاقتصادية الريفية إلى النظم الاقتصادية الصناعية، وكذا بالتحول من بيئة ريفية بسيطة الخصائص إلى حضرية معقدة تحدث فيها محاولات التكيف والاكتساب التدريجي لأنماط الحياة الحضرية.

يرافق عملية التمدين ظاهرة تحضر الأحواز، وهي عملية تعمير خارج التجمعات السكانية تصيب المناطق المحاذية للمدينة وضواحيها، وتعمد إلى تغيير المناطق الريفية المحيطة بها بشكل مستمر، دون إلغائها أو القضاء عليها نهائيا.

ـ السؤال الإشكالي:

سنحاول من خلال هذا المقال دراسة تحول و تكيف الفلاحة مع التمدين بإقليم برشيد بالإجابة عن السؤالين التاليين:

ماهي أبرز التحولات التي يعرفها الاستغلال الفلاحي بالإقليم؟.

كيف ساهم القرب من العاصمة الإقتصادية في انتشار المنتوجات التسويقية؟.

ومن تم تهدف هذه المقالة إلى مقاربة انعكاسات التمدين على الفلاحة وتحديد سلوكيات الفلاحين والإستراتيجيات المتبعة من طرف الفلاح لتكيف مع حاجيات المدينة، سنعتمد على الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى:أدى القرب من العاصمة الاقتصادية إلى جنوح الفلاحين نحو تنويع الإنتاج الفلاحي والاتجاه نحو الزراعات التسويقية لتبلية حاجيات السوق الحضرية.

الفرضية الثانية: يعد تسويق المنتوجات الفلاحية من طرف الفلاحين بإقليم برشيد من أهم مظاهر الاندماج بالسوق الاقتصادية .

- منهجية الدراسة

تقتضي دراسة موضوع أشكال تكيف الفلاحين مع التمدين دراسة منهجية تقوم على الجمع بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي في التعامل مع البيانات والمعطيات التي تم الحصول عليها من العمل الميداني، الذي انجز انطلاقا من سنة 2012 و الذي دام أكثر من سنة و نصف، إذ شمل أسلوب جمع البيانات نوعين من البيانات، الميدانية وغير الميدانية، إذ عملنا على تكثف العمل الميداني وأرسيناه على اعتماد استمارة دقيقة توخت التفصيل للإحاطة بأوجه تفاعل المجال الفلاحي مع محيطه الحضري. فهم الاستقصاء الميداني 8 جماعات قروية كوحدات ترابية ملائمة لمقاربة الحيازات الفلاحية ودراستها بشكل مقارن. إذ تم اختيار عينة عشوائية، مؤلفة من 537 حيازة، أي ما يعادل 7% من مجموع الحيازات الفلاحية المقدرة بنحو **7665** حيازة فلاحية.

1. دينامية الإنتاج الزراعي بإقليم برشيد

لتشخيص الوضعية الفلاحية بشكل أكثر دقة، لابد من دراسة الإنتاج الفلاحي بشقيه النباتي والحيواني، للتعرف على المحاصيل السائدة بالإقليم، وإبراز الاختلافات الموجودة من حيث نوع وحجم الإنتاج، وقد اعتمدنا في توزيع عناصر الإنتاج الفلاحي على نتائج الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 على مستوى إقليم برشيد، وعلى نتائج الاستطلاع الميداني

1.1 زراعة البقول من أهم مصادر الاندماج بالسوق الاقتصادية

تشغل المساحة المخصصة للخضر على صعيد الإقليم 15000هـ، وتتمركز بجماعات السوالم الطريفية والساحل أولاد احريز و أولاد زيان، وقد تم هذا التمركز على حساب الحبوب والقطاني بالدرجة الأولى، وتنتشر بالنطاقات التي يتوفر بها ماء السقي. وقد بدأت زراعة الخضر تحظى بعناية متزايدة، ويرجع ذلك إلى تزايد الطلب بالأسواق الحضرية الكبرى المجاورة، وخاصة الدار البيضاء، وسهولة تسويق المنتوج بأثمان ترضي المنتجين.

وتشمل الخضر مجموعة كبيرة من المحاصيل النباتية لعل أهمها البطاطس والجزر والطماطم والبصل (الجدول رقم 1).

وقد عرفت المساحة المخصصة لها منحى تصاعديا.ويرتبط هذا الارتفاع بلجوء الفلاحين إلى تنويع إنتاجهم لتلبية حاجيات السوق الحضرية، على اعتبار قرب الإقليم من الدار البيضاء كأكبر سوق استهلاكية. ويعتبر هذا التكثيف شكلا من أشكال التأقلم والصمود في وجه الامتداد الحضري وما يرافقه من تراجع للمساحة المستغلة.

جدول 1: زراعة بعض الخضر بإقليم برشيد

الخضروات	المساحة المزروعة ب(هـ)	الإنتاج بألف قنطار
البطاطس	4800	مليون و نصف القطار
البصل	1000	124
الطماطم	200	68,50
الباذنجان	-	-
الجزر و اللفت	800	320
أنواع أخرى	2700	783,08
المجموع	**9500**	**2877,03**

المصدر: مركز الارشاد الفلاحي برشيد (2012)

وعلى الرغم من التحولات الجديدة التي يعرفها القطاع الزراعي خلال العقود الأخيرة والمتمثل في إدخال مزروعات تسويقية ذات مردودية عالية، إلا أن الزراعة بالمنطقة لازالت تعتمد على الحبوب بالاساس، إذ تمتد على مساحة 116000هـ،أي ما يناهز 57% من الأراضي الصالحة للزراعة، ويحتل القمح الطري الحيز الأوفر ضمن المساحة المخصصة للحبوب بنسبة 44,83% بالإضافة إلى إنتاج الحبوب، يعرف الإقليم انتشار الزراعات العلفية التي تحتل المرتبة الثانية من حيث المساحة إذ تتعدى 19800هـ، ويرتبط هذا الارتفاع بتكثيف الإنتاج الفلاحي، نتيجة القرب من مدينة الدار البيضاء. أما الأراضي البائرة، فلازالت تمثل حيزا مهما ضمن الدورات الزراعية، إذ يشغل البوار مساحة 45100هـ، مما يشكل% 22,4 من الأراضي الصالحة للزراعة.

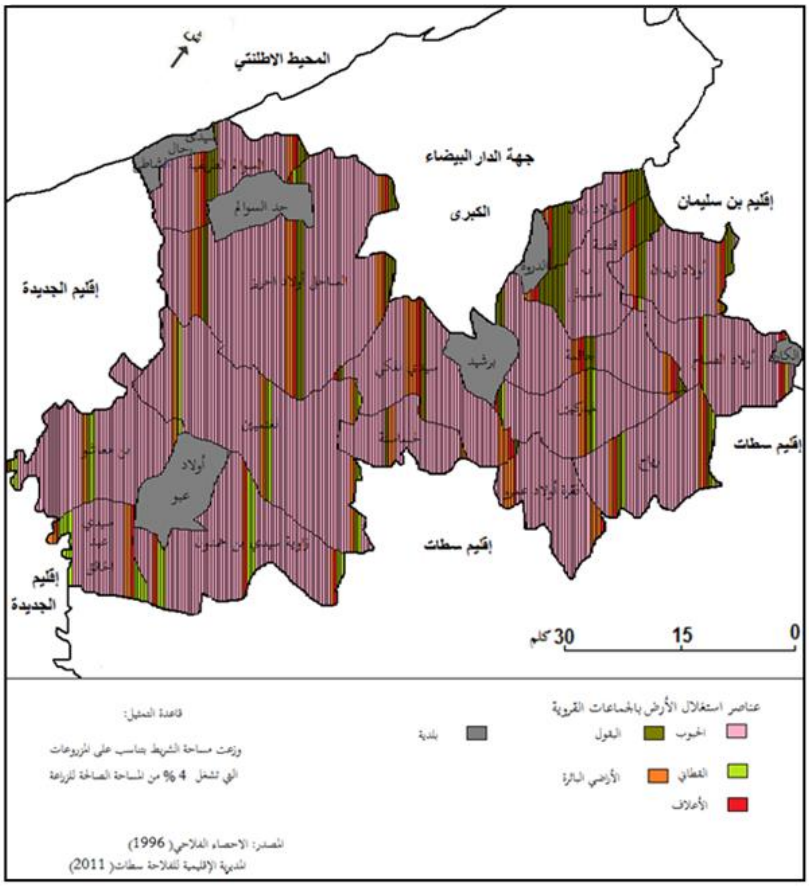

خريطة 2: استغلال المساحة الصالحة للزراعة بإقليم برشيد (1996)

2.1 أشكال و مستويات التكثيف:

لتحقيق التوازن بالاستغلالية الفلاحية يتخذ الفلاح مجموعة من الإجراءات. إذ يسعى إلى تحسن أوضاعه باستغلال قربه من العاصمة الاقتصادية،و ذلك بالاستفادة من تصريف المنتجات الفلاحية مباشرة بالسوق الحضرية، ومن أبرز هذه الإجراءات تكثيف الإنتاج و مكننة جميع مراحل الإنتاج من تحضير الأرض والحرث، وعمليات الحصاد وجمع المحصول، إذ تبين من خلال البحث الميداني، أن معظم الحيازات تستخدم المكننة، فالتطور الذي حدث في مختلف المعدات الفلاحية يدل على اهتمام الفلاح بإدخال أساليب متطورة وحديثة، بغية تحديث إنتاجه، ومسايرة متطلبات السوق . وإذا كان إدخال المكننة ساهم في تسريع وتدقيق إنجاز الكثير من العمليات الإنتاجية، كالحرث وجني المحصول وغيرهما، فإن استعمالها لا يكفي لتطوير الإنتاج، لذا يعمد إلى استعمال الأسمدة، إذ عملت مختلف الحيازات على استعمالها. فحسب نتائج الاستطلاع الميداني، وصلت نسبة الاستغلاليات المستعملة لها 81،2% سنة 2012، مقابل 61,7% سنة 1996 .

غير أن مكانة الحيازات الفلاحية الآخذة بتخصيب الأرض عن طريق التسميد تعرف نوعا من التباين، إذ نجد أن الحيازات المتوسطة والكبرى تأخذ بتوظيف المخصبات أكثر من الحيازات الصغرى، ويقل توظيفها خصوصا لدى الفلاحين الذين يتجاوز سنهم 60 سنة. وجدير بالذكر أن نسبة الاستخدام القوية للأسمدة لا تعطي في المقابل مردودا أعلى، الشيء الذي يفسر سوء استخدام عوامل الإنتاج كما عمد الفلاح بالمجال إلى تكثيف إنتاجه عن طريق اصطفاء البذور ذات المواصفات الجيدة، حيث انتقلت نسبة الاستغلاليات التي تستعمل البذور المختارة من 26,3% سنة 1996 إلى 65% سنة 2012. أما الاستغلاليات المتوسطة، فتأخذ بالبذور المنتقاة و المختارة، في حين تقتصر معظم الحيازات الصغرى على بذور إعادة الإنتاج.

3.1الماشية: تزايد الاهتمام بالأبقار الحلوب لارتفاع وتيرة الطلب عليها

تعد تربية الماشية نشاطا مكملا إلى جانب الزراعة، يزاوله الفلاح بالمنطقة، رغبة منه في تحقيق توازن اقتصادي. وقد عرف هذا القطاع تطورا ملموسا منذ بداية السبعينات، الفترة التي واكبت إنشاء عدد من التعاونيات الفلاحية التي ساهمت في تنمية هذا القطاع المنتج. بيد أن حجم قطيع الماشية المكون أساسا من الأبقار والأغنام والماعز أصبح في السنوات الأخيرة متواضعا، بسبب توالي سنوات الجفاف، وتراجع حجم وجودة المراعي التي أصبحت لا تمكن من تغطية الحاجيات الغذائية للقطيع، فيلجأ الفلاح مضطرا إلى شراء العلف الصناعي، لتلبية حاجيات القطيع. ويبقى حجمه متقلبا، حسب الظروف المناخية والاقتصادية بين موسم فلاحي وآخر.

يضم قطيع الماشية عدة أصناف أهمها الأبقار والأغنام والماعز؛ ولمعرفة بنيته، نوظف نتائج البحث الميداني، معتمدين في ذلك على المعادلة التالية(الأسعد،2012،ص113):

وحدة البقور: **عدد رؤوس البقر / عدد رؤوس الغنم والمعز/5**

وقد تم التوصل إلى ثلاث فئات أساسية، وهي:

- الفئة الأولى < 7,7
- الفئة الثانية ما بين 7,7 و5
- الفئة الثالثة ما بين 5 و2,8

تضم الفئة المجالية الأولى أولاد زيان، زاوية سيدي بن حمدون، تتميز بسيادة تربية البقر وإنتاج الحليب.

الفئة المجالية الثانية تضم كلا من سيدي المكي و الساحل أولاد احريز، وتتميز بوجود نسبة هامة من البقر، إلى جانب تربية الغنم، وتستفيد الماشية من المزروعات المخصصة لها، بالنظر إلى مؤهلات الإنتاج النباتي.

الفئة الثالثة: تشمل كلا من السوالم الطريفية وجاقمة وأولاد الصباح وفقرة أولاد عمرو. تتميز هذه المجالات بسيادة تربية الأغنام، بينما تصبح تربية البقر ضعيفة .

تتم تربية الماشية بإقليم برشيد داخل الإسطبلات، اعتمادا على التبن والشعير والعلف الصناعي، أو عن طريق الرعي في الأراضي غير المزروعة، في إطار عملية الدورة الزراعية.

أصبح الفلاحون يولون عناية كبيرة بتربية الأبقار المستوردة، نظرا لجودتها ومرد وديتها العالية على مستوى إنتاج اللحوم والألبان. غير أن هذا الصنف من الماشية يقتصر في تربيته على الفلاحين أصحاب الحيازات الكبيرة والمتوسطة والتعاونيات الفلاحية، لأنه يتطلب نفقات مادية كبيرة وعناية خاصة. فامتداد المجال بالقرب من سوق استهلاكية كبيرة تتزايد حاجياتها باستمرار جعل فئة معينة من الفلاحين يتوجهون نحو تسمين الأبقار وإنتاج الحليب بهدف التسويق، بسبب ما يدره هذا

النشاط من أرباح. هكذا، ورغم ضعف مساهمة تربية الماشية في الاقتصاد العام، استطاعت أن تنمي مداخيل بعض الفلاحين وتحسن من مستوى معيشتهم، عن طريق إنتاج الحليب.

صورة 1 و2

اهتمام الفلاح بتربية الأبقار الحلوب بجماعة السوالم الطريفية،(2012)

2. تصريف المنتجات الفلاحية الرئيسية وأماكن تسويقها

يعتبر التسويق أحد الأعمدة الأساسية في العملية الزراعية، ويقصد بالتسويق الزراعي عملية وصول المنتوج الزراعي للمستهلك في أجود وأحسن حالة، وبأسعار مناسبة(أبي سعيد الديوه جي،2001،ص34).

ولكون التسويق عنصرا مهما يكمل النشاط الزراعي ويساعد الفلاحين على تصريف منتجاتهم وتحقيق دخل يعينهم على الاستمرار في ممارسة الفلاحة، حاولنا الوقوف على عملية تسويق المنتجات الفلاحية من مختلف الجوانب، للإحاطة بالموضوع وسبر أغواره. لكن، لتعذر دراسة عائدات الفلاحين من تسويق المنتجات الفلاحية، فقد اقتصرنا في هذا الإطار على تحديد أعداد الفلاحين المسوقين للمواد القروية الأكثر ترويجا، وهي الحبوب والماشية والألبان.

1.2 تسويق الحبوب

أ- تتسم الحيازات الفلاحية بإقليم برشيد بتسويق شبه عام لفائض إنتاج الحبوب

يحظى إنتاج الحبوب بإقليم برشيد باهتمام بالغ، لأهميتها القصوى في ضمان الأمن الغذائي لعائلات المزارعين، وكذا لحظوتها المتميزة في الموروث الثقافي بالمنطقة. فهي تأتي على رأس المنتجات الفلاحية التي تعرف رواجا كبيرا داخل تراب الإقليم.

فمن ضمن 506 من الفلاحين نجد 306 يعملون على بيع قسط من منتوجهم، ويتوزعون بشكل متفاوت عبر طرفي إقليم برشيد، إذ تأتي جماعة أولاد الصباح في الطرف الداخلي في الصدارة، حيث أقر% 19,6 من فلاحيها ببيع جزء من محصول الحبوب، لتحتل جماعة الساحل أولاد احريز بالطرف الغربي المرتبة الثانية بنسبة 19,3%، في حين بلغت نسبة المسوقين للحبوب بجماعة الجاقمة% 13,7، بينما لا تتعدى هذه النسبة 8,5% بجماعة سيدي المكي.

إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقة بين حجم الحيازة وتسويق الحبوب على مستوى طرفي إقليم برشيد، نجد أن الفلاحين الذين تتجاوز حيازاتهم 15هـ يسوقون كل إنتاجهم، مما يدل على أن إنتاج الحبوب لدى هذه الفئة يوجه بالأساس للتسويق، في حين يبقى تسويق الحبوب محدودا لدى المستغلين الصغار إذ لا تتجاوز نسبتهم% 55,6، مما يعكس تواضع الكميات المنتجة والموجهة لتلبية الحاجيات الغذائية للحيازة بالدرجة الأولى، ثم التسويق في حالة وجود الفائض عن احتياجاتهم.

الفلاحون حسب طرفي إقليم برشيد			حجم الحيازة الفلاحية (هكتار)					المجموع
			5-0	10-5	15-10	20-15	50-20	
الطرف الغربي (2 جماعات قروية)	مجموع الفلاحين		87	31	08	04	03	133
	مجموع المسوقين للحبوب	عدد	29	27	08	04	03	71
		%	33,3	87,1	100	100	100	53,4
الطرف الداخلي (6جماعات القروية)	مجموع الفلاحين		228	96	26	17	06	373
	مجموع المسوقين للحبوب	عدد	108	78	26	17	06	235
		%	47,4	81,2	100	100	100	63
مجموع الطرفين (8 جماعات قروية)	مجموع الفلاحين		315	127	34	21	9	506
	مجموع المسوقين للحبوب	عدد	137	105	34	21	9	306
		%	43,5	82,7	100	100	100	60,5

جدول2: توزيع الفلاحين المسوقين للحبوب بإقليم برشيد، حسب حجم الحيازة الفلاحية وطرفي الإقليم

المصدر: البحث الميداني(2012)

ب ـ يخضع تسويق الحبوب لاستقطاب مدينة برشيد

لمقاربة أماكن تسويق الحبوب بالجماعات القروية لإقليم برشيد، نستعين بمعطيات الجدول التالي:

جدول رقم3: توزيع الفلاحين المسوقين للحبوب حسب الجماعات القروية وأماكن التسويق

الجماعات القروية	أماكن التسويق					
	سوق أسبوعية محلية	برشيد	الدار البيضاء	مكان آخر	المجموع	
					العدد	النسبة
الساحل أولاد احريز	44	13	1	1	59	19,3
السوالم الطريفية	6	2	2	2	12	3,9
سيدي المكي	23	3	-	-	26	8,5
أولاد زيان	31	6	1	1	39	12,7
أولاد الصباح	57	1	-	2	60	19,6
فقرة أولاد عمرو	24	4	-	-	28	9,2

جاقمة	35	6	1	–	42	13,7
زاوية سيدي بن حمدون	35	2	–	3	40	13,1
المجموع	255	37	5	09	306	100
	83,3	**12,1**	**1,6**	**2,9**		

المصدر: البحث الميداني (2012)

فيما يخص أماكن تسويق الحبوب، أظهرت نتائج الإستطلاع الميداني استحواذ الأسواق الأسبوعية على 83,3% من الكميات المسوقة، كما استخلصنا وجود حركة تجارية جهوية ضعيفة نسبيا، في حين تعد مدينة برشيد أهم منطقة مستقطبة للحبوب المسوقة جهويا، إذ يقصدها حوالي80,4% من الفلاحين المسوقين للحبوب جهويا، يتوزعون بشكل متباين، حيث تحتل جماعة الساحل أولاد احريز الصدارة ب35,1% من مجموع الفلاحين المسوقين لهذه المادة جهويا، تليها من حيث الأهمية جماعتا أولاد زيان وجاقمة بنسبة 16,2%، في حين لا تتعدى بأولاد الصباح 2,7%. بالمقابل فإن التسويق الوطني يبقى ضعيفا، ولا يتجاوز 1,6%، بحيث يعمل خمسة فلاحين فقط على تسويق منتوجهم من الحبوب بمدينة الدار البيضاء اثنان منهم من جماعة السوالم الطريفية والثلاثة الباقون يتوزعون بالتساوي على كل من جماعات الساحل أولاد احريز وأولاد زيان وجاقمة.

2.2 تسويق الماشية

تعد تربية الماشية الركيزة الأساسية للنشاط الفلاحي بإقليم برشيد، حيث نجد 94.3% من الفلاحين يعمدون إلى الجمع بين العمل الزراعي وتربية الماشية، ويعتبرون الأخيرة خزينة مالية وعاملا يساعد على توازن ودعم مداخيل الفلاح(محمد الأسعد،52،1999) ، مقابل 5.7% يقومون بتربية الماشية فقط وفق نتائج الاستطلاع الميداني.

يأتي الفلاحون المسوقون للأغنام على رأس بائعي الماشية. ويتميز التوزيع المجالي لتسويق المواشي بالتباين، حيث تحتل جماعة الساحل أولاد احريز المرتبة الأولى (20,4%) متبوعة بجماعة أولاد الصباح بنسبة 16,9%، ثم فقرة أولاد عمرو بنسبة 12,9%، في حين تبقى هذه النسبة ضعيفة بالسوالم الطريفية، إذ لا تتعدى 7,8%.

جدول 4: توزيع الفلاحين المسوقين للماشية حسب الجماعات القروية و أماكن التسويق

الجماعات القروية	الفلاحون المسوقون للماشية حسب نوعها وأماكن التسويق													
	المسوقون للأغنام						المسوقون للأبقار						المجموع العام	
	*	**	***	****	*****	المجموع	*	**	***	****	*****	المجموع	عدد	%
الساحل أولاد احريز	15		21	7	1	44	19	–	7	3	3	32	76	20,4
السوالم طريفية	9	–	–	2	2	13	15	–	–	2	1	18	29	7,8
سيد المكي	16	–	17	2	–	35	11	–	17	2	–	30	35	9,4
اولاد زيان	9	10	6	–	6	31	8	8	4	–	9	29	42	11,3
اولاد الصباح	31	1	11	–	–	43	38	23	–	2	–	63	63	16,9
فقرة اولاد عمرو	25	–	19	4	–	48	25	–	19	3	–	47	48	12,9
جاقمة	24	2	10	4	2	42	12	–	4	1	2	19	43	11,6
زاوية بن حمدون	24	–	15	–	–	39	2	–	3	–	–	5	36	9,7

المجموع	153	13	99	19	6,5	11	3,7	295	100	130	53,5	31	12,8	54	22,2	13	5,3	15	6,2	243	100	372	100
	51,9	4,4	33,5																				

المصدر: البحث الميداني (2012)

* : سوق أسبوعية محلية **: بنسليمان ***: سطات ****: برشيد *****: الدار البيضاء

تحتكر الأسواق الأسبوعية أكبر حصة من استقطاب الفلاحين البائعين للماشية بمختلف الجماعات المدروسة، لتتجاوز نسبة المسوقين للأغنام محليا 51,9% مقابل 53,5% بالنسبة للأبقار، كما يلاحظ أن التسويق المحلي لرؤوس الماشية يعرف بدوره تفاوتا مجاليا، حيث تبلغ نسبته66,7% بزاوية سيدي بن حمدون، و57,37% بأولاد الصباح، بينما لا تتعدى 23,8% بأولاد زيان.

كما أفاد البحث الميداني بأن حوالي 44,4% من الفلاحين يسوقون الأغنام جهويا مقابل 40,3%. وتبقى مدينة سطات أهم سوق جهوية مستقطبة للمواشي، حيث يقصدها 99 من الفلاحين المسوقين للأغنام و54 بائعي للأبقار، أما مدينة الدار البيضاء فلا تستقطب سوى 24 فلاحا ينتمون للجماعات المحاذية لها.

خريطة 3: استقطاب تيارات تسويق الماشية بإقليم برشيد

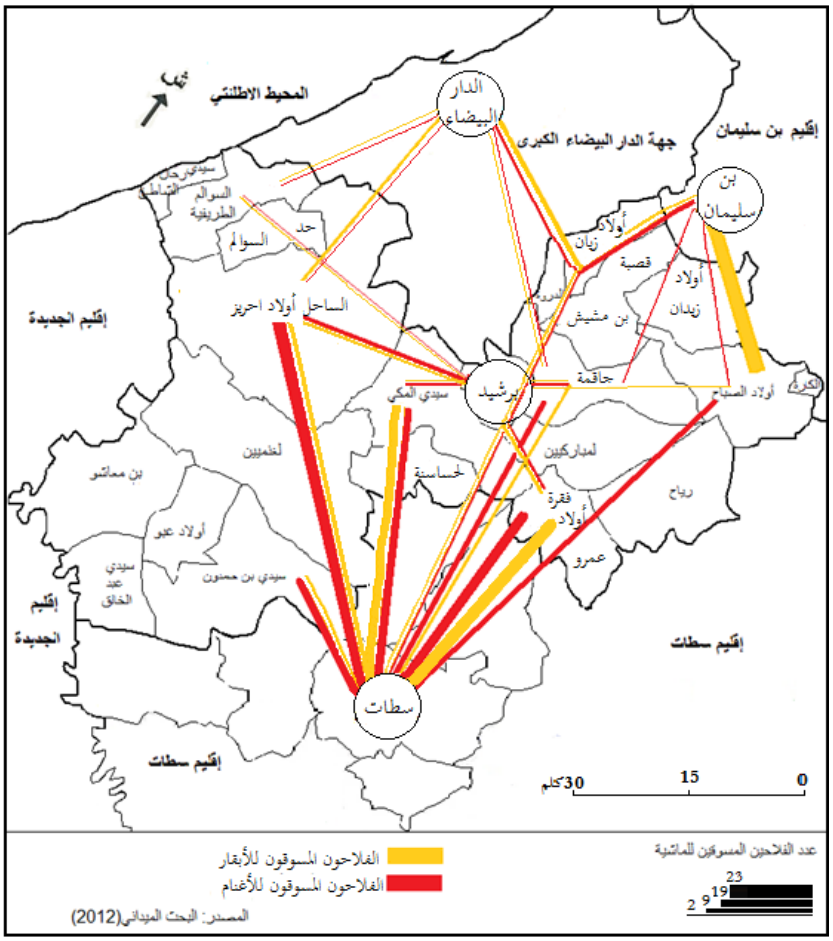

3.2 تسويق الحليب

شهد إنتاج الحليب نموا ملموسا خلال العقود الأخيرة، ويفسر هذا النمو بتضافر مجموعة من العوامل في مقدمتها الدعم الذي تقدمه الدولة من أجل استيراد واقتناء الأبقار الأصيلة في إطار مخطط حليبي وطني انطلق سنة 1975، و يهدف إلى تلبية الحاجيات الوطنية المتزايدة من مادة الحليب. (المختار الآكحل،2004، ص 303) وفي خضم العناية المتزايدة بالأبقار الحلوب، عملت السلطات العمومية على تشجيع الفلاحين على الانتظام في إطار تعاونيات، حيث عمدت الدولة إلى تقديم

قروض للفلاحين لتجهيز الإسطبلات المخصصة لتربيتها، وكذا تزويدهم بحصص من الأعلاف بأثمنة تفاضلية(سعيد آيت حمز،2006،ص 475) ، مما شجع الفلاحين المنتجين على الانخراط في هذه التعاونيات. وفي هذا الإطار، أنشئت عدة تعاونيات لتسويق الحليب بأماكن مختلفة على صعيد إقليم برشيد، الشيء الذي يفسر لنا تزايد الاهتمام بالأبقار الحلوب، إذ يقدر عددها بالإقليم 47600 رأس(مركز الأشغال الفلاحية،2010) تحتل فيها السلالة الأصيلة نسبة جد هامة، إذ تفيد التقديرات الإقليمية للفلاحة أن كمية إنتاج الحليب تختلف حسب نوعيتها، حيث تبلغ الطاقة الإنتاجية للأبقار الحلوب المحلية 9 إلى 10 لترات في اليوم، في فترة الدر المرتفع، وتنخفض إلى 4 لترات في اليوم في فترة الدر المنخفض(يحصل الدر المرتفع خلال الفترة الممتدة من فبراير إلى غشت، أما الدر المنخفض، فيمتد ما بين غشت و فبراير) ، بينما تبلغ الطاقة الإنتاجية للأبقار الأصيلة ما بين 20 و28 لترا في اليوم، الشيء الذي يفسر أهميتها ضمن قطيع الماشية المربى بإقليم برشيد، فاهتمام الفلاح بالأبقار الأصيلة يرجع لأهمية الأرباح التي يحققها مردود الحليب الذي توفره.

يكتسي الحليب أهمية متزايدة ضمن المنتوجات الفلاحية المسوقة بإقليم برشيد،و للوقوف على أهمية تسوق الحليب بمجال الدراسة، نورد معطيات الجدول التالي:

جدول رقم5 : **توزيع الفلاحين المسوقين للحليب حسب الجماعات**

الجماعات	عدد الفلاحين المسوقين للحليب	النسبة%
الساحل أولاد احريز	62	18,3
السوالم الطريفية	17	5
سيدي المكي	40	11,8
أولاد زيان	56	16,5
أولاد الصباح	41	12,1
فقرة أولاد عمرو	32	9,4
جاقمة	41	12,1
زاوية سيدي بن حمدون	50	14,8
المجموع	339	100

المصدر: البحث الميداني (2012)

يبلغ عدد الفلاحين المسوقين للحليب 399 فلاحا يتوزعون بشكل متفاوت، حيث تحتل جماعة الساحل أولاد احريز الصدارة بنسبة18,3%من مجموع مسوقي الحليب بالإقليم، تليها من حيث الأهمية جماعة أولاد زيان%(16,5)، ثم جماعة زاوية سيدي بن حمدون(14,8%)، في حين تضعف هذه النسبة بجماعة فقرة أولاد عمرو، إذ لا تتعدى9,4%فقط.

فيما يتعلق بتسويق الألبان، فقد تبين من خلال معطيات الاستطلاع الميداني أن جل الحيازات تسوق الحليب، إذ يتم تجميعه يوميا في الصباح والمساء، ثم ينقل ليسلم إلى التعاونيات الحليبية المكونة عبر المجال الفلاحي.

يظهر من مقاربتنا لتصريف المنتجات الفلاحية بإقليم برشيد هيمنة الأسواق الأسبوعية على تسويق الحبوب مقابل ضعف التسويق الجهوي والوطني، وبخلاف تجارة الحبوب التي لها منطقة جذب محدودة للغاية، فإن لتجارة المواشي مناطق نفوذ أكثر اتساعا بكثير، إذ نجد أن43,5% من بائعي المواشي يتم استقطابهم من طرف الأسواق الإقليمية، تتصدرها مدينة

برشيد، في حين أن مدينة الدار البيضاء لا تستقطب إلا 6,45% من مسوقي الماشية. وهكذا يتبن أن الأسواق الحضرية ستؤدي حتما إلى الحد التدريجي من نفوذ الأسواق الأسبوعية.

3.2 تسويق المنتجات الفلاحية وسيلة تنمية مداخل الفلاحين و توطيد اندماج الفلاحة الاقتصادي

يعتبر تسويق المنتجات الفلاحية بالبوادي المغربية بصفة عامة، وبإقليم برشيد بالخصوص، أحد الأعمدة الأساسية في العملية الزراعية، فهو جزء لا يتجزأ من العملة الإنتاجية نفسها، فتكثيف الإنتاج وتطويره يرتبط ارتباطا وثيقا بتطور عملية تسويق المنتجات الزراعية مباشرة بالأسواق. فحسب فون تون، يتمثل تأثير المدينة على البوادي المحيطة بها على وجه الخصوص في قدرتها كسوق استهلاكية كبيرة على توجيه الإنتاج الفلاحي، إذ تساهم تكلفة النقل ومدته، وكذا طبيعة المنتجات الفلاحية في تحديد مناطق إنتاج هذه الأخيرة. فالمسافة تعد عنصرا حاسما في تحديد الرقعة الترابية لمنطقة إنتاجية، مما يجعل أحواز المدن تعرف تكثيفا مهما للاستغلال الفلاحي، وذلك استجابة لمتطلبات سكان المدينة بالدرجة الأولى، سيما في ميدان البقول والألبان (محمد الأسعد،2004،ص67ـ68).

وعموما يبقى تسويق المنتجات الفلاحية بإقليم برشيد عنصرا أساسيا في تحقيق الاندماج الاقتصادي للفلاحة، وفي تدعيم الاستغلال الفلاحي، لما يوفره من دخل للفلاح، وهذا ما يفسر اهتمام الفلاحين بتربية الماشية لكونهم ينتفعون من نتاج القطيع، وكذا من التسويق اليومي للألبان، مع ما ينجم عن هذا التسويق من دخل يساعد الحيازة على تحقيق التوازن المالي، ولو أن الاستقصاء الميداني لم يجد لا في تقدير قيمة دخل الفلاح، ولا في الإلمام بكل الآليات التي يعتمدها لتحقيق توازناته المالية.

خاتمة:

توصلت هذه الدراسة لعديد من النتائج التي كشفت عن مجموعة من التحولات التي شهدها الاستغلال الفلاحي وعما نجم عنها من جنوح الفلاحين نحو تسويق الانتاج للإستفادة من القرب من مدينة الدار البيضاء و التي توفر سوقا استهلاكية مهمة، وقد شكلت إجابات مباشرة عن الفرضيات التي انطلق منها المقال وقد جاءت كما يلي:

ـ الفرضية الأولى:أدى القرب من العاصمة الاقتصاديةإلى جنوح الفلاحين لتنويع الإنتاج الفلاحي و الاتجاه نحو الزراعات التسويقية لتبلية حاجيات السوق الحضرية.تبين من خلال التحليل أن نظام الإنتاج الفلاحي بإقليم برشيد، يتسم بسيادة وهيمنة الزراعة البورية المندمجة مع تربية الماشية، غير أن تغلغل النظام الرأسمالي، أدى إلى تبنى الفلاح لإستراتيجيات الفلاحية ترتكز على عقلانية واضحة تجمع بين الهدف التأميني للمعيشة العائلية (حبوب، علف الماشية) وبين الهدف التسويقي (خضر، بقليات). وعليه تأكيد الفرضية الأولى.

ـ الفرضية الثانية: يعد تسويق المنتوجات الفلاحية من طرف الفلاحين بإقليم برشيد من أهم مظاهر الاندماج بالسوق الاقتصادية .اتضح لنا من خلال الدلاسة الميدانية أن تسويق المنتجات الفلاحية بإقليم برشيد يعد عنصرا أساسيا في تحقيق الاندماج الاقتصادي للفلاحة، وفي تدعيم الاستغلال الفلاحي، لما يوفره من دخل للفلاح. يظهر من مقاربتنا لتصريف المنتجات الفلاحية بإقليم برشيد هيمنة الأسواق الأسبوعية على تسويق الحبوب، في حين أن تجارة المواشي تتخذ مناطق نفوذ أكثر اتساعا، إذ نجد أن43,5% من بائعي المواشي يتم استقطابهم من طرف الأسواق الإقليمية، خاصة مدينة برشيد. وعليه تتحقق الفرضية.

لقد توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج التي كشفت عن مجموعة من التحولات التي شهدها الاستغلال الفلاحي و الأغراض المتوخاة منه بإقليم برشيد و التي تنتهي إلى إمكانية تعميم النتائج على ضواحي و أحواز المدن الكبرى، إذ يمكن القول إن تحولات الأرياف المحيطة بالحواضر الكبرى المغربية تتشابه في مجملها، بالرغم من أننا قلما نجد مدينة قادرة على خلق دينامية شبيهة بما تخلقه العاصمة الاقتصادية من حولها.

لكن، مهما كانت حدود تعميم هذه الدينامية، فإن نتائجنا تفتح آفاقا جديدة أمام المهتمين بعلاقات المدن والأرياف بوجه عام، وبتحولات الفلاحة بأحواز المدن،على وجه الخصوص؛ بل تقدم استبصارات للباحثين في الموضوع الأخير، للقيام بدراسات مكملة تساهم في الكشف عن مظاهر أخرى لانعكاس التأثيرات الحضرية على الفلاحة.

قائمة المراجع:

- أبي سعيد الديوه جي ،مبادئ التسويق الزراعي، منشورات دار حامد للنشر والتوزيع، عمان (2001)
- آيت حمو سعيد، تراتب المجال حول الدار البيضاء و انعكاسات تمدين أحوازها على الفلاحة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا بكلية الآداب المحمدية.(2006).
- بنسالم الرويجل(2012)،انعكاسات التكثيف الفلاحي على المنظومة البيئية الساحلية بين مصب واد سبو و الموجة الزرقاء،أطروحة لنيل الدكتوراه، بكلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط
- محمد الأسعد، الأمن الغذائي المستديم بالمغرب، ورد في البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب، منشورات دار القرويين(1999)
- محمد الأسعد، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي-زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب دراسة في الإيكولوجيا الثقافية، منشورات مؤسسة دكالة- عبدة للثقافة والتنمية(2012)
- المختار الأكحل، دينامية المجال الفلاحي و رهانات التنمية المحلية- حالة هضبة بنسليمان، منشورات دار أبي رقراق للطباعة والنشر(2004).
- كرزازي موسى ،حدود و آفاق التنمية الفلاحية بالجهة الشرقية بالمغرب، ورد في دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط، تنسيق موسى كرزازي و المختار الأكحل.25. 47.(2005)
- مدينة محمد، بعض مظاهر التكثيف الزراعي بالشاوية السفلى حالة الجماعة القروية أولاد علي إقليم ابن سيمان،، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ابن مسيك الدار البيضاء. ص92. 106.(1996)
- مدينة محمد، دينامية المجال الفلاحي بالشاوية السفلى، دراسة في إشكالية التحول والتنمية المحلية بأحواز الدار البيضاء، أطروحة دكتوراه الدولة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك- ص 347.(2007).
- الإحصاء العام الفلاحي لسنة 1996.